قِصَّةُ أَصْحَابِ الأُخْدُودِ

فَوَائِدُ وَعِبَرٌ

إعـــداد

أبي عبد الملك أحمد بن فتحي البكيري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فعن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلاَمًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاَمًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَيَّ.

وَكَانَ الْغُلاَمُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلاَمِ.

فَجِيءَ بِالْغُلاَمِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلاَمِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلاَمِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلاَمِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ »(١).

قَالَ الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَيُذْكَرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَإِصْبَعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ)(٢).

وقال القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اسم الغلام: **عبد الله بن ثامر**.

وذُكر عن ابن عباس أَن الملك كان **بنجران**.

وقيل: إن اسم الراهب: **فيميون**.

غريب الحديث:

(**الأكمه**) الذي خلق أعمى.

(**الراهب**) العابد.

(**الدابة**) قيل أنها كانت أسدًا.

(**بالمئشار**) مهموز في رواية الأكثرين ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء، وروي (بالمنشار) بالنون وهما لغتان صحيحتان.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٤٣٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(**ذروته**) ذروة الجبل أعلاه وهي بضم الذال وكسرها.

(**فرجف بهم الجبل**) أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

(**قرقور**) السفينة الصغيرة وقيل الكبيرة واختار القاضي الصغيرة بعد حكايته خلافا كثيرًا.

(**فانكفأت بهم السفينة**) أي انقلبت.

(**صعيد**) الصعيد هنا الأرض البارزة.

(**كبد القوس**) مقبضها عند الرمي.

(**نزل بك حذرك**) أي ما كنت تحذر وتخاف.

(**بالأخدود**) الأخدود هو الشق العظيم في الأرض وجمعه أخاديد.

(**أفواه السكك**) أي أبواب الطرق.

(**فأحموه فيها**) ارموه فيها من قولهم أحميت الحديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى.

(**فتقاعست**) أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار.

فوائد وعبر:

أولاً: في الحديث أن التعليم للغلام الشاب هو الذي يبقي، ولا يُنسى، ولهذا كان التعلم في الصغر خيرًا بكثير من التعلم في الكبر، وفي كل خير، لكن التعلم في الصغر فيه فوائد عظيمة:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منها: أن الشاب في الغالب أسرع حفظًا من الكبير؛ لأن الشاب فارغ البال ليست عنده مشاكل توجب انشغاله.

ومنها: أن ما يحفظه الشاب يبقى، وما يحفظه الكبير يُنسى، ولهذا كان من الحكمة الشائعة بين الناس: (إن العلم في الصغر كالنقش في الحجر) أي أنه لا يزول.

ومنها: أن الشاب إذا ثقف العلم من أول الأمر صار العلم كالسجية له والطبيعة له، وصار كأنه غريزة قد شب عليه فيشيب عليه.

ثانيًا: فيه أن الإنسان إذا شك في الأمر له أن يطلب من الله آية تبين له شأن هذا الأمر كما بينه الله لهذا الغلام، فإن هذا من نعمة الله عليه.

ومن ثم شرعت الاستخارة، للإنسان إذا هم بالأمر وأشكل عليه: هل في إقدامه خير أم في إحجامه خير، فإنه يستخير الله، وإذا استخار الله بصدق وإيمان فإن الله تعالي يعطيه ما يستدل به علي أن الخير في الإقدام أو إحجام، إما بشيء يلقيه في قلبه ينشرح صدره لهذا أو لهذا، وإما برؤيا يراها في المنام، وإما بمشورة أحد من الناس، وإما بغير ذلك.

ثالثًا: وفيه أن السحر من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، **وَالسِّحْرُ**، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»(٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والساحر إما معتد ظالم، وإما كافر مشرك؛ فإن كان يستعين على سحره بالشياطين يتقرب إليهم ويعبدهم ويدعوهم ويستغيث بهم فهو كافر مشرك.

وإن كان لا يفعل هذا لكن يعتدي على الناس بأدوية فيها سحر فهذا ظالم معتد.

وحد الساحر القتل كما جاء عن جندب أنه قال: (حد الساحر ضربة بالسيف)(٤).

رابعًا: أن الابتلاء سنة الله في خلقه قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، فكل من صدع بالحق لابد أن يُبتلى ، فلقد أتي بالراهب ودعي بالمنشار فقسموه من مفرق رأسه- من نصف الجسم- فبدأوا بالرأس، ثم الرقبة، ثم الظهر حتى انقسم قسمين: سقط شق هنا وشق هنا، ولكنه أبى أن يرجع، ورضي أن يُقتل هذه القتلة ولا يرجع عن دينه.

ثم جيء بالرجل الأعمى الذي كان جليسًا عند الملك وآمن بالله، وكفر بالملك، فدعي أن يرجع عن دينه فأبي، ففُعل به كما فعل بالراهب، ولم يرده ذلك عن دينه.

ولقد ابتُلي الأنبياء ببلايا شتى، وابتلي نبينا ﷺ بالعديد من البلايا، فلقد قيل له: ساحر، وشاعر، ومجنون، ومذمم. وكسرت رباعيته، ودخل المغفر في رأسه، وضربه أهل الطائف حتى أدموا عقبه، ومع ذلك صبر وأدى الرسالة وأتم المهمة فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٤) أخرجه الترمذي (١٤٦٠) وهو صحيح موقوف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومثل ذلك ما وقع للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين امتحن لمحنته العظيمة المشهورة، على أن يقول: إن القرآن مخلوق وليس كلام الله، فأبى، فأوذي وعزر، حتى إنه يجر بالبغلة في الأسواق-وهو إمام أهل السنة- ويضرب بالسوط حتى يغشى عليه ولكنه كلما أفاق قال: **القرآن كلام ربي غير مخلوق**.

وإنما لم يجز لنفسه أن يقول كلمة الكفر مع الإكراه، لأن الناس ينتظرون ماذا يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلو قال: القرآن مخلوق، لصار كل الناس يقولون: القرآن مخلوق، وفسد الدين.

ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل نفسه فداء للدين ومع هذا صبر واحتسب، وكانت العاقبة له ولله الحمد.

مات الخليفة، ومات الخليفة الثاني الذي بعده، وأتى الله بخليفة صالح أكرم الإمام أحمد إكرامًا عظيمًا، فما مات الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى أقر الله عينه بأن يقول الحق عاليًا مرتفع الصوت، ويقول الناس الحق معه.

وخذل الله أعداءه الذين كانوا يحدثون الخلفاء عليه. ولله الحمد.

وهذا دليل على أن العاقبة للصابرين، وهو كذلك.

خامسًا : فيه أن المؤمن إذا منَّ الله عليه بكرامة فلا ينسب الفضل لنفسه، فإنه لما جاء جليس الملك - وكان أعمى لا يبصر- إلى الغلام بهدايا كثيرة حينما سمع عنه ما سمع وقال: لك ما هنا أجمع- أي كله- إن أنت شفيتني، فقال: إنما يشفيك الله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فانظر إلي الإيمان! لم يغتر بنفسه وادعى أنه هو الذي يشفي المرضى، بل قال: إنما يشفيك الله عز وجل، وهذا يشبه من بعض الوجوه ما جرى لشيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما جيء إليه برجل مصروع قد صرعه الجني، فقرأ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ولكنه لم يخرج، فجعل شيخ الإسلام يضربه على رقبته ضربًا شديدًا، حتى إن يد شيخ الإسلام أوجعته من الضرب، فتكلم الجني الذي في الرجل وقال له: أخرج كرامة للشيخ، فقال له الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تخرج كرامة لي ولكن اخرج طاعة لله ولرسوله.

لا يريد أن يكون له فضل، بل الفضل لله عز وجل أولاً وآخرًا. فخرج الجني.

الشاهد أن أهل العلم والإيمان لا ينسبون نعمة الله إليهم، وإنما ينسبونها إلى موليها عز وجل وهو الله.

سادسًا: فيه أن المسلم إذا وقع في مصيبة لا بد أن يلجأ إلى الله تعالى وحده لا شريك له، فإنه لما قتل الملك الراهب، وقتل جليسه، جيء بالغلام فطلب منه أن يرجع عن دينه إلي دين الملك، ودين الملك دين شرك؛ لأنه يدعو الناس إلي عبادته وتأليهه.

فأبى الغلام أن يرجع عن دينه، فدفعه الملك إلي نفر من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، جبل معروف عندهم شاهق رفيع، وقال لهم إذا بلغوا ذروته: اعرضوا عليه أن يرجع عن دينه، فإن رجع وإلا فاطرحوه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلما بلغوا به قمة الجبل طلبوا منه أن يرجع عن دينه فأبى؛ لأن الإيمان قد وقر في قلبه، ولا يمكن أن يتحول أو يتزحزح، فلما هموا أن يطرحوه قال: (اللهم اكفنيهم بما شئت). لجأ إلى الله.

وهذه دعوة مضطر مؤمن أي: بالذي تشاء، ولم يعين. فرجف الله بهم الجبل فسقطوا وهلكوا، وجاء الغلام إلي الملك فقال: ما الذي جاء بك؟ أين أصحابك؟ فقال: قد كفانيهم الله عز وجل.

ثم دفعه إلي جماعة آخرين، وأمرهم أن يركبوا البحر في قرقور- أي سفينة- فإذا بلغوا لجة البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه، فإن لم يفعل رموه في البحر. فلما توسطوا به البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه- وهو الإيمان بالله- عز وجل- فقال: لا! ثم قال: (اللهم اكفنيهم بما شئت) فانقلبت السفينة وغرقوا وأنجاه الله.

ثم جاء إلي الملك فقال له: أين أصحابك؟ فأخبره بالخبر.

الشاهد أن الغلام لجأ إلى الله عز وجل فأنجاه الله تعالى.

سابعًا: فيه أن الله عز وجل يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فإذا دعا الإنسان ربه في حال ضرورة موقنًا أن الله يجيبه، فإن الله تعالي يجيبه، حتى الكفار إذا دعوا الله في حال الضرورة أجابهم الله، مع أنه سبحانه يعلم أنهم سيرجعون إلي الكفر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [لقمان: ٣٢].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثامنا: أن الإنسان يجوز أن يغرر بنفسه في مصلحة عامة للمسلمين، فإن هذا الغلام دل الملك على أمر يقتله به ويهلك به نفسه، وهو أن يأخذ سهمًا من كنانته ويضعه في كبد القوس ويقول: **باسم الله رب الغلام**.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لأن هذا جهاد في سبيل الله، آمنت أمة وهو لم يفتقد شيئًا، لأنه مات وسيموت إن آجلاً أو عاجلاً).

فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار، بحيث يحمل آلات متفجرة ويتقدم بها إلي الكفار ثم يفجرها إذا كان بينهم، فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله، لأن هذا قتل نفسه لا في مصلحة الإسلام، لأنه إذا قتل نفسه وقتل عشرة أو مائة أو مائتين، لم ينتفع الإسلام بذلك، فلم يسلم الناس، بخلاف قصة الغلام، فإن فيها إسلام كثير من الناس، فكل من حضر في الصعيد اسلموا، أما أن يموت عشرة أو عشرون أو مائة أو مائتان من العدو، فهذا لا يقتضي أن يَسلم، بل ربما يتعنت العدو أكثر ويوغر صدره هذا العمل حتى يفتك بالمسلمين اشد فتك، كما يوجد من صنع اليهود مع أهل فلسطين، فإن أهل فلسطين إذا مات الواحد منهم بهذه المتفجرات وقتل ستة أو سبعة أخذوا من جراء ذلك ستين نفرًا أو أكثر، فلم يحصل في ذلك نفع للمسلمين، ولا انتفاع للذين فجرت هذه المتفجرات في صفوفهم.

ولهذا نرى أن ما يفعله بعض الناس من هذا الانتحار، ونرى أنه قتل للنفس بغير حق، وأنه موجب لدخول النار والعياذ بالله، وأن صاحبه ليس بشهيد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن إذا فعل الإنسان هذا متأولا ظانًا أنه جائز، فإننا نرجو أن يسلم من الإثم، وأما أن تكتب له الشهادة فلا؛ لأنه لم يسلك طريقة الشهادة، لكنه يسلم من الإثم لأنه متأول، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر.(٥)

تاسعا: أن الله قادر على كل شيء فقد أنطق الله الرضيع بالحق فقال لأمه: **يا أماه اصبري فإنك على الحق**. يقوله وهو صغير لا يتكلم، لكن أنطقه الله الذي أنطق كل شيء، وهو كرامة لهذه الأم، أن الله أنطق ابنها من أجل أن تقوى على أن تقتحم النار وتبقى علي إيمانها، لأن تكلم هذا الصبي في المهد آية عظيمة، وقد شهد هذا الصبي بأن أمه على الحق، فصبرت واقتحمت النار، وهذا من آيات الله، وقد قال تعالي (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الزمر: ٦١) .

وقد تكلم في المهد غير واحد، وهم: عيسى عليه السلام وصاحب جريج وشاهد يوسف عليه السلام وهذا الرضيع.

عاشرًا: أن المسلم لا بد أن يترك أثرًا قبل رحيله، فهذا الغلام ضحى بنفسه في سبيل إيمان قوم بأكملهم، وكم من رجال تركوا آثارا طيبة وخدموا الدين بأرواحهم وأموالهم وأفنوا أعمارهم في سبيل إعلاء كلمة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. وقد قال ﷺ: «لَا تَزَالُ

(٥) قاله الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين».

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»(٦).

فاحرص أخي أن تكون من هؤلاء.

هذا ما تيسر جمعه وترتيبه وأسأل الله أن ينفع الإسلام والمسلمين بما كتبتْ يداي، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٦) أخرجه مسلم (١٩٢٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com